Al-Aijaz Research Journal of Islamic Studies & Humanities
(Bi-Annual) Trilingual: Urdu, Arabic and English
ISSN: 2707-1200 (Print) 2707-1219 (Electronic)
Home Page: http://www.arjish.com
Approved by HEC in "Y" Category
Indexed with: IRI (AIOU), Australian Islamic Library, ARI, ISI, SIS, Euro pub.
Published by the Al-Khadim Foundation which is a registered organization under the Societies Registration ACT.XXI of 1860 of Pakistan
Website: www.arjish.com
Copyright Al Khadim Foundation All Rights Reserved © 2020
This work is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License

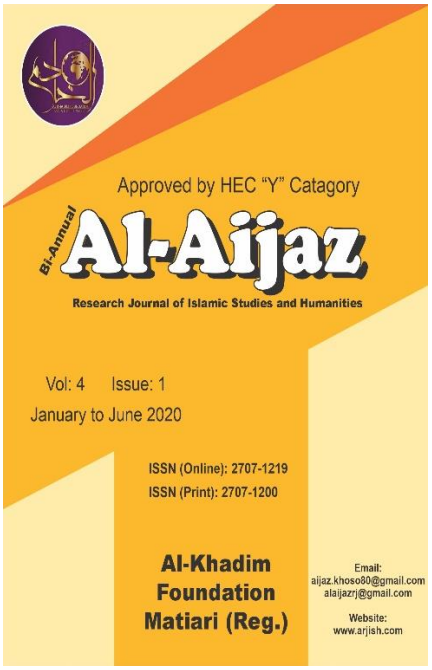

TOPIC:

Sahaba; their Ijitihad and School of thoughts in understanding Quranic Text and its Academic Importance

AUTHORS:

1. Nasrullah Qureshi, Doctoral Candidate, Department of Tafsīr International Islamic University Islamabad.
Email: nasrullah.qureshi@gmail.com
2. Hadi Bux Chhijan, Assistant Professor, Mehran University of Engineering & Technology SZAB Campur, Khairpur.

How to cite:
Qureshi, N., & Chhijan, H. B. (2020). A-3 Sahaba; their Ijitihad and School of thoughts in understanding Quranic Text and its academic importance . Al-Aijaz Research Journal of Islamic Studies & Humanities, 4(1), 22-39.
https://doi.org/10.53575/A3.v4.01.22-39
URL: http://www.arjish.com/index.php/arjish/article/view/128

Vol: 4, No. 1 | January to June 2020 | Page: 22-39

Published online: 2020-06-30

QR Code

اجتهاد الصحابة ومدارسهم في فهم نصوص القرآن وقيمته العلمية

Sahaba; their Ijitihad and School of thoughts in understanding Quranic Text and its Academic Importance

Nasrullah Qureshi*
Hadi Bux Chhijan**

Abstract
The generation of Sahaba is only generation, observed the revelation of the Quran-primary source of Islam and its teachings-. They were aware of the surroundings, backgrounds and reasons of its revelations. Whenever they faced any problem about understanding of the Quran, they went to the Prophet Muhammad (ﷺ) in person during his life-time. When the Prophet died, they tried to understand the meanings of the Quran by its natural method; got aid from Mufasir Sahaba, Arabic Literature of the time. This period showed their understanding abilities, skills to tackle An-Nawazil, and etc. Also the period was the beginning of development of different Islamic sciences. This study will discuss in detail their methods of understanding the Quran, and its major schools of thout in detail.

Keywords: Sahabs' Ijtihad, Ijtihad in Tafsir, Major Mufasir Sahab
إجتهاد الصحابة، إجتهاد في التفسير، مدارس الصحابة

المقدمة:

كما نعرف أن القرآن الكريم نزل والصحابة هم –رضي الله عنهم أجمعين– هم الذين عاينوا نزوله، وكانوا يعرفون ظروف نزوله، وإذا أشكل عليهم كانوا يرجعون الى من نزل عليه القرآن، أي : رجعوا الى سيدنا محمد –صلى الله عليه وسلم– في عهده- وبعد ما إنتقل النبي–صلى الله عليه وسلم–الى ربه حاولت الصحابة أن يحلوا ما أشكل عليهم من القرآن بطرق متعددة من ضمنها ظهرت اجتهاداتهم وأقوالهم التي تفرع منه علوم عديدة من التفسير، والفقه وأصولهما، وغيره من العلوم. فالصحابة –بمراتبهم المختلفة –كانوا يعتمدون على عدة مصادر لفهم نصوص القرآن وتفسيره، وسيذكر تفاصيلها مع التركيز على اجتهادهم وقوة استنباطهم بعد تناول تعريف موجز لمصطلح الاجتهاد لغة واصطلاحا وذكر أهميته. وإليك البيان:

الاجتهاد لغة واصطلاحا وأهدافه

كلمة الاجتهاد مأخوذة من (جهد) والجهد في اللغة الطاقة والوسع وهي بالفتح والضم، وبالفتح من قولنا:

* Doctoral Candidate, Department of Tafsīr International Islamic University Islamabad.
Email: nasrullah.qureshi@gmail.com
** Assistant Professor, Mehran University of Engineering & Technology SZAB Campur, Khairpur.

''اجتهد جهدك في هذا الأمر، أي ابلغ غايتك وبالضم تعني الطاقة.''[1] وقد ورد هذا المعنى في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾[2] وقال الفراء[3]:

''الجهد في هذه الآية الكريمة الطاقة، تقول: هذا جهدي أي طاقتي،[4] والاجتهاد والتجاهد: بذل الوسع والمجهود.'' [5]

الاجتهاد في الاصطلاح: استفراغ الفقيه الوسع لتحصيل ظن لحكم شرعي. وبعبارة أخرى بذل المجهود لنيل المقصود ومعنى استفراغ الوسع أي بذل تمام الطاقة بحيث يحس من نفسه العجز عن المزيد عليه، وله (للاجتهاد) أركان وشروط في أصول الفقه.[6]

والاجتهاد يكون هدفه استخراج الأحكام من نصوص الشريعة على اختلاف أنواعها، وإيجاد احكام شرعية للواقع والنوازل التي لم يرد فيها نص، وكذلك يهدف الاجتهاد تطبيق والتوفيق بين النصوص على اختلاف الزمان والأحوال والأنواع.

مصادر الصحابة لفهم نصوص القرآن

كما بينا في السابق أن الصحابة –بمراتبهم المختلفة –كانوا يعتمدون على عدة مصادر لفهم نصوص القرآن وهي:

1- القرآن الكريم
2- أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريراته
3- الاجتهاد وقوة استنباطهم

1– القرآن الكريم:

القرآن يفسر بعضه بعضا ولذلك لتفسير القرآن بالقرآن أهمية كبرى عند المفسرين سلفهم وخلفهم لأن القرآن يفصل في مكان ما أجمل في مكان، وكذلك يبين ما أبهم فهمه عند الصحابة. ولأجله نهج الصحابة على منهج واهتموا بتفسير الآية بآية أخرى في أماكن عديدة؛ لبيان المعنى، واظهار المراد، وفي ذلك نجد أن الصحابة كانت لديهم طريقتين لتفسير القرآن بالقرآن—حينئذ:

أولا: تفسير القرآن بالقرآن من النبي–صلى الله عليه وسلم–:

كما يتضح من الروايات أن الصحابة كانوا يتعلمون من النبي–صلى الله عليه وسلم– بعض آيات من القران وما كانوا يتجاوزونها، ولكن يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، فتعلموا القرآن والعلم والعمل جميعا. ورغم ذلك إذا أشكل عليهم معاني القرآن ولم يجدوا تفسيرها في القرآن، فكانوا يرجعون الي النبي –صلي الله عليه وسلم– لفهم النصوص، والنبي–صلى الله عليه وسلم–، كان يفسر لهم من المعاني والأحكام في الآيات بالقرآن الكريم، وإليك المثال كما روى البخاري:

لما نزلت: ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم﴾[7]، أشكل معنى الظلم على الصحابة فرجعوا الي النبي– صلى الله عليه وسلم– وقالوا: يا رسول الله، أينا لا يظلم نفسه؟ قال: ليس كما تقولون: ﴿ولم يلبسوا إيمانهم بظلم﴾[8] بشرك، ألم تسمعوا الى قول لقمان[9] لابنه: ﴿يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم﴾ [10] [11]

ثانيا: تفسير القرآن بالقرآن بقوة الاستنباط:

الصحابة أخذوا من النبي–صلى الله عليه وسلم– مباشرة من العلوم والمعارف وتربوا بين يديه–صلى الله عليه وسلم– وهذ الأمر –صحبة النبي–صلى الله عليه وسلم–– تأثرت علي قوة استنباطهم، لأن النبي–صلى الله عليه وسلم– كان يربي أصحابه ويحثهم على الاستنباط استخدام عقولهم وآرائهم في النوازل، كما سأل النبي– صلى الله عليه وسلم– حين أرسل معاذا[12] (عند البعثة الى اليمن) :

قال : ''كيف تقضي إذا عرض لك قضاء؟''، قال: أقضي بكتاب الله، قال: ''فإن لم تجد في كتاب الله؟''، قال: فبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: ''فإن لم تجد في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا في كتاب الله؟'' قال: أجتهد رأيي، ولا الو فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره، وقال: ''الحمد لله الذي وفق رسول، رسول الله لما يرضي رسول الله''[13]

فالصحابة في تفسيرهم القرآن نهجوا على منهج الذي سنها النبي–صلى الله عليه وسلم– لهم، فإذا أشكل عليهم شيء من القرآن، وما كان من الممكن أن يرجعوا الى النبي–صلى الله عليه وسلم– لبعد المسافة — كما كان أمر معاذ بن جبل– –أو بعد وفاته–صلى الله عليه وسلم–– ولم يجدوا قول النبي–صلى الله عليه

وسلم- فيه، واستعملوا قوة استنباطهم واجتهدوا فى تبيين معناه بطرق عدة،[41] ومنها تفسير القرآن بالقرآن، لأن تفسير القرآن بالقرآن إن ورد عن النبي-صلى الله عليه وسلم- فهو مأثور وإلا فهو من نتيجة البحث والفحص واعمال الرأي والاجتهاد. كما ورد عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى: ''﴿فتلقى آدم من ربه كلمات﴾51 ''

''عن ابن عباس قال: هو قولهما(أي : آدم وحواء): ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾16 ''17

ففي هذا المكان استعان ابن عباس بآية لتفسير "الكلمات" التي تلقى آدم من الله عزوجل.

2- وأقوال النبى صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريراته

كما بينا أن الصحابة،عندما أشكل عليهم فهم النصوص والأحكام كانو يرجعون الى النبي-صلى الله عليه وسلم- وكان -صلى الله عليه وسلم- يبين لهم مراد الله سبحانه وتعالىٰ من الآيات، كما اختلط على عائشة رضي الله عنها فهم قوله تعالى: ''حسابا يسيرا'' مع قول النبي :''من نوقش الحساب عذب'' فرجعت الي النبي-صلى الله عليه وسلم- فقالت: ''اليس يقول الله: ﴿فسوف يحاسب حسابا يسيرا﴾18 ''؟ قال: ''ليس ذلك بالحساب.. ولكن ذلك العرض''.[19]

وكذلك أشكل على علي -رضي الله عنه- قوله تعالى: ﴿وأذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين﴾20 فسأل عن يوم الحج الأكبر الوارد فأجابه النبي-صلى الله عليه وسلم- بأنه: "يوم النحر". كان يبيين القرآن الكريم من مهمة النبي-صلى الله عليه وسلم- الأولى، حيث قال الله تعالى: "﴿وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم﴾''21 فقام النبي بهذه المهمة وفسر القرآن بأوجه مختلفة؛ كتوضيح المشكل، وتفصيل المجمل، تخصيص العام، تقييد المطلق وبيان الأحكام الزائدة وناسخ الآيات ومنسوخها وغيرها من الأوجه ونشهد بأنه-صلى الله عليه وسلم- أدى حقه.

وعندما انتقل الرسول-صلى الله عليه وسلم- الي ربه، احتاجت الصحابة الى تبيين الآيات وتفسيرها المزيد لأسباب شتي خاصة عند ظهور النوازل ولم يجدوا عندهم شيئا من النصوص فكانت الصحابة والتابعين

يرجعون الي كبارهم ومن اشتهر بملازمة الرسول–صلى الله عليه وسلم– لكي يأخذو عنه ما ورد من آثار الرسول–صلى الله عليه وسلم– فركزوا على هذا المصدر واهتموا بها اهتماما شديدا؛ فكانوا يرجعون الي أقواله وأفعاله وكانوا يبحثون عن كل ما ورد عنه في بيان الآيات وتفسيرها، فإذا وجدوا ما صح من الآثار، نقلوها واكتفوا بها.

كما في قول الله: "﴿وإن خفتم الا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع﴾[22] سأل عروة بن الزبير[23] عن أم المؤمنين سيدة عائشة –رضي الله عنها– (عن أمر اليتيمة) فأم المؤمنين أجابت عنه بقولها:

"يا ابن أختي هي اليتيمة تكون في حجر وليها تشاركه في ماله، فيعجبه مالها وجمالها، فيريد وليها أن يتزوجها بغير أن يقسط في صداقها فيعطيها مثل ما يعطيها غيره، فنهوا أن ينكحوهن الا أن يقسطوا لهن، ويبلغوا بهن أعلى سنتهن من الصداق، وأمروا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء، سواهن."[24]

وروت أم المؤمنين سيدة عائشة رضي الله عنها ما أجاب فيه الرسول–صلى الله عليه وسلم– أصحابه في حياته، وقالت:

''إن الناس استفتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية فيهن، فأنزل الله عز وجل: ﴿ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون أن تنكحوهن﴾[25]''[26]

قالت: ''والذي ذكر الله تعالى، أنه يتلى عليكم في الكتاب، الآية الأولى التي قال الله فيها: ﴿وإن خفتم الا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء﴾[27] ''[28]

قالت عائشة:

''وقول الله في الآية الأخرى: ﴿وترغبون أن تنكحوهن﴾ رغبة أحدكم عن اليتيمة التي تكون في حجره، حين تكون قليلة المال والجمال، فنهوا أن ينكحوا ما رغبوا في مالها وجمالها من يتامى النساء، الا بالقسط، من أجل رغبتهم عنهن.''[29]

3- الاجتهاد وقوة الاستنباط

قد ذكرنا أن الصحابة في فهم القرآن وتفسيره كانوا يعتمدون على القرآن والسنة، فإن لم يجدوا ما يعالج مشكلتهم فأثروا عقولهم كمصدر، واستنبطوا منه حسب قوتهم العلمية وكان لهم فبه -أي في استنباط الأحكام- مراتب مختلفة، واجتهاد الصحابة كان مبني على العلم والإخلاص وكانوا يخافون من قولهم في القرآن الكريم بمجرد آرائهم وقولهم بغير علم، ولذا كانوا يبحثون الدليل على ما يقولون كما في مسائل نافع بن الأزرق استدل ابن عباس علي ما قاله بشعر من شعراء العرب، وكانت هذه الاجتهادات والاستنباطات عند الصحابة قليلة ونادرة وحسنها أنها كانت بعيدة عن التعصب.[30]

والحقيقة أن الصحابة نظروا في آيات القرآن وتدبروا فيها في ظلال السنة النبوية وما شاهدوا من التنزيل وما عرفوا من أسباب النزول والقراءات التي علموا عن النبي-صلى الله عليه وسلم- وكانو يعرفون أصول الدين وما في تشريعاته من الحكم وكذلك الشرائع السابقة . فنرأهم أنهم بذلوا جهودهم في تفسير القرآن الكريم فوضعوا أمامهم شروطا لاجتهادهم فتمسكوا بهم، ولو نزيل هذه الأمور من اجتهادهم لايبقي الا هوى وجرأة على الفتوى الذي قد أشار اليه أبو بكر الصديق: "أي أرض تقلني، وأي سماء تظلني، إذا قلت في القرآن برأيي - أو: بما لا أعلم."[31] و كأنهم يريدون المحاربة ولا يجدون عندهم من الأدوات قبل اجتهادهم واستنباطهم.

إذا بحثنا عن أدوات الصحابة في اجتهادهم وآراءهم التفسيرية نجد أن اللغة العربية وأساليبها، لهم أهمية بارزة عند الصحابة لأن القرآن الكريم نزل باللغة العربية كما في قوله تعالى: "﴿إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون﴾[32] " وننقل رأي الدكتور الذهبي في عروبة الفاظ القرآن الكريم وهو يقول:

"فألفاظ القرآن عربية، الا الفاظا قليلة، اختلفت فيها أنظار العلماء، فمنهم قائل : إنها عربت وأخذت من لغات أخرى، ولكن العرب هضمتها وأجرت عليها قوانينها فصارت عربية بالاستعمال. ومن قائل إنها عربية بحتة، غاية الأمر أنها مما تواردت عليه اللغات، وعلى كلا القولين فهذه الألفاظ لا تخرج القرآن عن كونه عربيا."[33]

يتضح من مقال الدكتور الذهبي أن المعرفة باللغة العربية دور مهم في تفسير الصحابة للقرآن الكريم ولو كان اللفظ مستعربا، وكذلك أساليب اللغة كالحقيقة والمجاز، والتصريح والكناية، والإيجاز والأطناب، وغيرها كانت تستعمل وقت نزول القرآن فمعرفتها يعد من أهم أدوات التفسير عند الصحابة لأن القرآن استعملها بأسلوب رائع لكي يتحقق إعجازه على العرب.[34]

أدوات الاجتهاد عند الصحابة كانت، حسب التالي:

1- معرفة أوضاع اللغة وأسرارها

2- معرفة عادات العرب

3- معرفة أحوال اليهود والنصارى فى جزيرة العرب وقت نزول القرآن[35]

إذا بحثنا عن هذه الأدوات ومعرفة الصحابة بها لنجدهم أنهم ليسوا بمرتبة واحدة بل تفاوتت مراتبهم واشتهر بعضهم في مجال التفسير يشير اليهم بالبنان، كالخلفاء الأربعة وأبي بن كعب وابن مسعود وابن عباس، ومن النساء أم المؤمنين عائشة رضي الله عنهم أجمعين.

أولا: رجوع الصحابة الى أوضاع اللغة العربية وأسرارها في اجتهادهم:

القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين فإذا أشكل على الصحابة فهم النص، فرجعوا الى السنة وإذا لم يجدوا شيئا ما يستريح نفوسهم رجعوا الى أوضاع اللغة العربية وأسرارها التي تعين على فهم الآيات، وفي هذا كذلك الصحابة كانوا على عدة مراتب منهم من أشكل عليه ما هو واضح على الآخرين وكانوا يسألون عن أعلمهم باللغة العربية وأعرفهم بأشعارها الجاهلية وكانوا يبحثون عن معانيها عند قبائل العرب لأنهم كانوا من عرب خالص. وإليك الأمثلة:

العرب كانوا يطلقون البضع ما دون العشر لكن أشكل على أبي بكر فجعله الستة وفي رواية الترمذي:

"لما نزلت ﴿ال. غلبت الروم . في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون. في بضع سنين﴾[36] خرج أبو بكر الصديق يصيح بها في نواحي مكة، فقال الناس من قريش لأبي بكر: فذلك بيننا وبينكم، زعم صاحبك أن الروم ستغلب فارس في بضع سنين، أفلا نراهنك على ذلك، قال: بلى، وذلك قبل تحريم الرهان، فارتهن

أبو بكر والمشركون وتواضعوا الرهان، وقالوا لأبي بكر: كم تجعل البضع ثلاث سنين الى تسع سنين، فسم بيننا وبينك وسطا تنتهي اليه، قال: فسموا بينهم ست سنين، قال: فمضت الست سنين قبل أن يظهروا، فأخذ المشركون رهن أبي بكر، فلما دخلت السنة السابعة ظهرت الروم على فارس، فعاب المسلمون على أبي بكر تسمية ست سنين، لأن الله تعالى قال في بضع سنين."[37]

فكلمة ''فعاب المسلمون'' في الرواية تدل على أن معظمهم كانوا يعرفون معنى البضع معرفة تامة وإلا ما عابوا سيدنا أبي بكر–رضي الله عنه–، ولكن أشكل فهمه علي أبي بكر الصديق –رضي الله عنه–حيث جعل بينه وبينهم مدة ست سنوات أو خمس[38] سنوات على اختلاف الروايات.

وعبدالله ابن عباس رضى الله عنه استعان كثيرا برجوعه الى معرفة أوضاع اللغة العربية في فهم النصوص ومعرفة معانى الألفاظ الغريبة التى وردت فى القرآن الكريم واكان يرجع الى الشعر الجاهلى ويستدل بها، وكان يستدل بها في ما طرحت عليه من أسئلة تتعلق بألفاظ القرآن لمعرفة بمسائل نافع بن الأزرق. ولو عمقنا في منهجه في مسائل نافع بن الأزرق نصل الى نتيجة أنه كان موسوعة من الشعر الجاهلي، ومن مسائله: قال:

"يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عز وجل﴿أمشاج نبتليه.﴾ قال: اختلاط ماء الرجل وماء المرأة إذا وقعا في الرحم. قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت أبا ذؤيب[39] وهو يقول:

كأن الريش والفوقين منه ... خلاف النصل سيط به مشيج"[40]

وكان غيره من الصحابة يسلك هذا الطريق فى فهم غرائب القرآن، ويحض على الرجوع الى الشعر العربى القديم، ليستعان به على فهم معانى منهم عمر بن الخطاب عندما خفي عليه معنى "التخوف" ويسأل عنها غيره فيقوم له شيخ من هذيل فيقول له: هذه لغتنا، التخوف: التنقص، فيقول له عمر: هل تعرف العرب ذلك فى أشعارها؟ فيقول له: نعم، ويروى قول الشاعر:

تخوف الرحل منها تامكا قردا ... كما تخوف عود النبعة السفن

فيقول عمر –رضى الله عنه – لأصحابه: ''عليكم بديوانكم لا تضلوا، قالوا: وما ديواننا؟ قال: شعر

الجاهلية، فإن فيه تفسير كتابكم، ومعانى كلامكم''.[41]

ثانيأ: رجوع الصحابة الى عادات العرب في اجتهادهم:

كانت عند العرب وقبائلها عادات خاصة ذكرت في القرآن الكريم فهذا النوع من الآيات موقوف على معرفة عاداتهم بالدقة لأنها تعين على فهم كثير من النصوص القرآنية، كما في قوله تعالى: "﴿ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله إن الله غفور رحيم﴾"[42]، قد فسر ابن عباس هذه الآية مستعينا بذكر عادات العرب وعمل النبي–صلى الله عليه وسلم– وبينها بأن الخطاب في الآية لقريش الذين كانوا يقفون دون العرفة، فقال ابن عباس:

"كانت العرب تقف بعرفة، وكانت قريش تقف دون ذلك بالمزدلفة، فأنزل الله:" ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس"، فرفع النبي صلى الله عليه وسلم الموقف الى موقف العرب بعرفة."[43]

وكذلك قوله تعالى: ''﴿وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها﴾''[44] ما كان من الممكن فهمها الا برجوع الي عادات العرب في الجاهلية فالبراء بن عازب[45] حكى عادة العرب المذكورة في الآية لفهم النص القران مستعينا بسبب النزول وقوله:

''كانوا في الجاهلية إذا أحرموا، أتوا البيوت من ظهورها، ولم يأتوا من أبوابها، فنزلت: ﴿وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها﴾..الآية.''[46]

ثالثا: رجوع الصحابة الى معرفة أحوال اليهود والنصارى فى جزيرة العرب وقت نزول القرآن في اجتهادهم:

الصحابة رجعوا الى الاسرائيليات —ما روي عن أهل الكتاب– في تفسيرهم للقرآن الكريم ورووها فيه حسب ما وجههم النبي–صلى الله عليه وسلم– فكانوا يفرقون الصحيح والسقيم منه بأقواله –صلى الله عليه وسلم– منها قوله–صلى الله عليه وسلم–:

"حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج"[47]

وقوله–صلى الله عليه وسلم–:

''إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم ...''[48].

وفي قوله–صلى الله عليه وسلم– منع عن السؤال عنهم:

''لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء''[49]

إذا دبرنا في هذه الأقوال وجمعناها وجعلنا التوفيق بينها، يبين لنا أنه–صلى الله عليه وسلم– فقد أجاز التحديث عنهم، ولم ينكر الرواية عنهم ولكن نبه الى شيء خطير في الإسرائيليات؛ من الكذب والأباطيل وما قالوا في الأنبياء في تنقيص شأنهم.

فالعلماء قسموا الإسرائيليات الى ثلاثة أقسام حيث ذكر مساعد بن سليمان الطيار:

''منهاما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق، فذاك صحيح. والثاني: ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه. والثالث: ما هو مسكوت عنه، لا من هذا القبيل، ولا من هذا القبيل، فلا نؤمن به، ولا نكذبه، وتجوز حكايته.''[50]

سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما كلما أشكل عليه شيء يمكن معرفتها بالرجوع الى عارفين باليهودية والنصرانية فكان يكتب ويسأله عن أبي الجلد[51] كما ورد في تفسير جامع البيان للطبري: ''أنه سأل عن معنى الرعد فأجابه بأنه الملك''[52] وفي رواية : ''أنه الريح''[53].

وكذلك استفسر ابن عباس رضي الله عنهما عن البرق، فقال: ''البرق ماء''.[54] وكذلك سؤاله عن الشجرتين فأجابه كما أورده الطبري في تفسيره، وإليك بيانه:

''أن ابن عباس كتب الى أبي الجلد يسأله عن الشجرة التي أكل منها آدم، والشجرة التي تاب عندها: فكتب اليه أبو الجلد:"سألتني عن الشجرة التي نهي عنها آدم، وهي السنبلة، وسألتني عن الشجرة التي تاب عندها آدم، وهي الزيتونة.''[55]

قد اختلفت الأقوال في قوله تعالى ﴿ورفعناه مكانا عليا﴾ منهم من قال: ''يعني به الى مكان ذي علو وارتفاع.'' ومنهم من قال: ''رفع الى السماء السادسة''. وقال آخرون: ''الرابعة''. فابن عباس كتب الى

كعب الأحبار لعلمه عن كتب السابقة قال كعب:

''أما إدريس، فإن الله أوحى اليه: إني رافع لك كل يوم مثل عمل جميع بني آدم، فأحب أن تزداد عملا فأتاه خليل له من الملائكة، فقال: إن الله أوحى الي كذا وكذا، فكلم لي ملك الموت، فليؤخرني حتى أزداد عملا فحمله بين جناحيه، ثم صعد به الى السماء; فلما كان في السماء الرابعة، تلقاه ملك الموت منحدرا، فكلم ملك الموت في الذي كلمه فيه إدريس، فقال: وأين إدريس؟ فقال: هو ذا على ظهري، قال ملك الموت: فالعجب بعثت أن أقبض روح إدريس في السماء الرابعة، فجعلت أقول: كيف أقبض روحه في السماء الرابعة وهو في الأرض؟ فقبض روحه هناك، فذلك قول الله تبارك وتعالى (ورفعناه مكانا عليا).''[56]

وكذلك جعل معاوية وابن عباس كعبا بينهما عندما أشكل عليهما كلمة﴿عين حمئة﴾[57] فرأي كعب أيدت بما قاله ابن عباس، كما كما أورد الطبري عن ابن عباس في تفسيره:

''قال ابن عباس: قرأ معاوية هذه الآية فقال: عين حامية، فقال ابن عباس: إنها ﴿عين حمئة﴾[58]، قال: فجعلا كعبا بينهما، قال: فأرسلا الى كعب الأحبار، فسألاه، فقال كعب: أما الشمس فإنها تغيب في ثأط، فكانت على ما قال ابن عباس، والثأط: الطين.''[59]

رابعا: اعتماد علي قوة الفهم وسعة الإدراك:

كما بينا أن شخصية الصحابة العلمية تكون مكونة من الأدوات عدة، وإذا وجدت هذه الأدوات يكون اجتهادهم صوابا تستفيد منه الأمة، فظهر اجتهادهم وقوة استنباطهم بطرق عدة مستعملا هذه الأدوات. ففي بعض الأحيان جمعوا الآيات التي ذات صلة في المسئلة فوصلوا الي نتيجة ما، وحل مشكلة ما، كما فعل ابن عباس رضي الله عنه عندما طرحت عليه المشكلة ومن أمثلة ذلك ما رواه الإمام البخاري من الأسئلة التي طرحها رجل على ابن عباس، وقال:

''إني أجد في القرآن أشياء تختلف علي ومنها: قال الرجل: قوله تعالى: ﴿أم السماء بناها﴾ الى قوله: ﴿دحاها﴾[60] فذكر خلق السماء قبل الأرض، وفي قوله: ﴿... أإنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين﴾ الى قوله: ﴿طائعين[61]﴾، فذكر خلق الأرض قبل السماء في

هذه الآية. فأجاب ابن عباس عن ذلك فقال: خلق الأرض في يومين، ثم استوى الى السماء فسواهن في يومين آخرين، ثم دحا الأرض، ودحوها أن أخرج منها الماء والمرعى، وخلق الجبال والجمال والآكام وما بينه في يومين آخرين، فذلك قوله: ﴿دحاها﴾، وقوله: ﴿خلق الأرض في يومين﴾ فجعل الأرض وما فيها من شيء في أربعة أيام، وخلقت السماء في يومين» بعد التوفيق بين الآيات مستعملا عقله ومجريا رأيه قال ابن عباس: فلا يختلف عليك القرآن، فإن كلا من عند الله.''[62]

وفي بعض الأحيان رجع الصحابة الى ما شاهدوا من التنزيل من الأسباب والأماكن لكي يصلوا الى ما هو أصح ولردوا ما هو الضعيف أو المردود من المعاني كما قال ابن مسعود في قوله تعالى: ﴿قد كان لكم آية في فئتين التقتا﴾[63]:

''هذا يوم بدر، نظرنا الى المشركين فرأيناهم يضعفون علينا، ثم نظرنا اليهم فما رأيناهم يزيدون علينا رجلا واحدا، وذلك قوله تعالى: ﴿وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلا ويقللكم في أعينهم﴾[64] '' [65]

وكذلك قول عائشة رضي الله عنها من وراء الحجاب في قوله تعالى: ''﴿والذي قال لوالديه أف لكما أتعدانني﴾''[66]، يدل على سرعة احضارها في ما شاهدت النزول حيث قالت: "ما أنزل الله فينا شيئا من القرآن الا أن الله أنزل عذري"، كان ردا على قول مروان وجرأته في القرآن حيث قال لعبد الرحمٰن بن أبي بكر : "إن هذا الذي أنزل الله فيه، ﴿والذي قال لوالديه أف لكما أتعدانني﴾[67] ''[68]

وفي بعض الأحيان رجع الصحابة الى قوة استنباطهم وفهموا الأسرار وأدركوا الرموز والإشارات الدقيقة التي تضمنتها الآية وهذا الجانب لا يعرفه الا قليل منهم كما كان أمر "سورة النصر" عندما سأل عمر بن الخطاب الصحابة عنها وقال: ''ما تقولون في قول الله تعالى: ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾[69] ''؟ فقال بعض أصحابه: ''أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا، وفتح علينا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئا.''[70]

ففي هذا المثال حمل الصحابة معنى السورة على ظاهر الفاظها ومعانيها واستخرجوا ما فيها من الأوامر والنواهي كأمر بالاستغفار وغيره الا ابن عباس حيث قاله عمر:

''أكذاك تقول يا ابن عباس؟ فقال: لا، قال: فما تقول؟ قال: هو أجل رسول الله- صلى الله عليه وسلم-

أعلمه له، قال: ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾[71] وذلك علامة أجلك، ﴿فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا﴾[72]، فقال عمر: ما أعلم منها الا ما تقول"[73]

وفقهاء الصحابة لم يكتفوا باهتمامهم على ما ظهر من المعاني أو الأسرار بل كانوا يعرفون أصول التشريعات مع معرفتهم بأصول الدين فكانوا يفتون في النوازل حسب مقتضيات عصرهم وحاجات مجتمعهم، كما نجد أن عمر بن الخطاب في اجتهاداته منع المسلمين عن المباحات كزواج من أهل الكتاب لكثرة الفساد حينئذ رغم أنه لا يزعم أنه حرام وبين مفاسده الكتابيات بقوله: "ولكني أخاف أن تقاطعوا المؤمنات منهن."[74]

'المؤلفة قلوبهم' تعد من مصارف الزكاة لكن عندما رأى عمر أن الحق قد ظهر فمنع عن صرف الصدقات عليهم كما ذكر الطبري قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه:

"وأتاه عيينة بن حصن —كان من المؤلفة قلوبهم–[75]: ﴿وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾[76]، أي: ليس اليوم مؤلفة."[77]

وكانت معاملة شرب الخمر ففي عهد النبي–صلى الله عليه وسلم– شراب الخمر يضرب بالأيدي، والنعال، والعصي وفي عهد الصديق كثر عددهم فكان يجلدهم أربعين حتى توفي، وكذا في عهد عمر حتى أتي برجل من المهاجرين الأولين قد شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الغزوات منها : بدر، وأحد، والخندق والمشاهد، وعندما رأى هذه الحالة شاور كبار الصحابة فقال علي: "إنه إذا شرب سكر وإذا سكر هذي وإذا هذي افترى وعلى المفتري ثمانون جلدة، فأمر عمر فجلد ثمانين"[87]

في هذه الرواية نرى أن علي بن أبي طالب جاء بالمقدمات وما يبنى عليها من النتيجة وقاس شرب الخمر على القذف مستعملا قوة استنباطه وكانت المجتمع تحتاج اليها حينئذ.

مدارس الصحابة في التفسير وأثرها على الأجيال

وهذه كانت جهودهم الفردية في طريق فهم النصوص، التي ظهرت في أوقات وأماكن متعددة، وكان لكل من اشتهر بالتفسير من الصحابة لهم منهج خاص نهج عليها في تفسير القرآن وتبيين آياته وقد انتقلوا هذا

العلم الى تلاميذهم، وعلموهم أسس مناهجهم عندما فتح المسلمون كثيرا من بلاد العالم بنصرة الله تعالى خاصة في عهد الخلفاء الراشدين، وكان من حكمة الله أن الصحابة انتشروا في بلاد شتى ولم يسكنوا في بلد واحد، بل انتشروا وانتشر نور الإسلام حيث جاؤا من المدن من المدينة المنورة، وكان منهم المفسرون ومنهم المحدثون والمعلمون بين الولاة والوزراء والقضاة. [79]

أما المفسرون انعقدو في تلك الأمصار مجالس العلم التي حضرها كثير من التابعين، وانتقل العلم من الصحابة الى التابعين والتابعين نقلوا وانتقلوا لمن بعدهم فتطور هذا الى إقامة المدارس العلمية يشير الي أساتذتها الصحابة وتلاميذها بالبنان، وما اشتهر من المدارس التفسير: المدرسة بمكة والمدينية والعراق.

أما المدرسة بمكة برأسها ابن عباس وتلمذ على يده كبار التابعين كسعيد بن جبير، ومجاهد، وعكرمة مولى ابن عباس، وطاؤوس بن كيسان اليمانى، وعطاء بن أبى رباح. فمجاهد كان أكثر تأثرا على أفكار الناس أن بتفسيره العقلي والخطط الذي وضعها مجاهد يقول الدكتور الذهبي: "وتلك الخطة كانت فيما بعد مبدءا معترفا به ومقررا لدى المعتزلة فى تفسير القرآن بالنسبة لمثل هذه النصوص."

والمدرسة بالمدينة برأسها أبي بن كعب، واشتهر من بين تلامذته: زيد بن أسلم، وأبو العالية، ومحمد بن كعب القرظى. وهؤلاء منهم من أخذ عن أبى مباشرة،[80] وكان لمدرسة المدينة تأثيرا على مذهب المالكية لأن مالك بن أنس إمام دار الهجرة أخذ التفسير عن زيد بن أسلم.[81]

وثالثة بالعراق برأسه عبدالله بن مسعود وكان غيره من الصحابة أخذ عنهم أهل العراق التفسير، ومن تلامذته علقمة بن قيس، ومسروق، والأسود بن يزيد، ومرة الهمدانى، وعامر الشعبى، والحسن البصرى، وقتادة بن دعامة السدوسى، وكان لحسن البصرى تأثر على من جاؤا بعده في علم الكلام أصول الدين وما ظهر في التصوف. [82]

وكانت المدرستان: بمكة والمدينة تمتازان بأحوالهما الخاصة وحاجاتهما بطريقة حجازي وهو غلبة الرواية ولكن في جانب آخر يمتاز أهل العراق بأنهم أهل الرأى، ويرجع هذه الظاهرة الى منهج ابن مسعود كما يقول الدكتور الذهبي: إن ابن مسعود هو الذى وضع الأساس لهذه الطريقة فى الاستدلال، ثم توارثها عنه

علماء العراق، ومن الطبيعى أن تؤثر هذه الطريقة فى مدرسة التفسير، فيكثر تفسير بالرأى والاجتهاد، لأن استنباط في المسائل الاختلافية —الفقهية– نتيجة من نتائج إعمال الرأى فى فهم نصوص القرآن والسنة.[83] وكانت لهذه المدارس أثر على ما ظهر من الفرق والمذاهب كمذاهب الأربعة لأن أصولها جزورها يرجع الى هذه المدارس أساتذتها وتلاميذها وكذلك نرى أن تراث تفسيري تأثر على تطور الأمة في الأفكارها فظهرت منه الفرق ففي العقائد كما رأينا أثر خطط مجاهد على المعتزلة، وبمنهج مدرستي مكة والمدينة حفظ تراث تفسيري ووصل الينا بكل حفاظة مع أحوال الرواة بكاملها. وبهذا الأثر البالغ على الأمة الى يومنا هذا عد المفسرون والفقهاء أقوال الصحابة —بإجماعهم وتفردهم– من مصادرهم في المسائل الفقه واستنبطو منها أصولهم وأعطوها مرتبته بعد السنة فجزأهم الله عنا خير الجزاء علي هذا الجهد العظيم في فهم نصوص القرآن الكريم.

النتائج:

وفي ختام، توصل البحث الي النتائج التالية :

- أن الاجتهاد كونه مصدرا من مصادر الشريعة تندرج تحته معظم أحكام الشريعة التكليفية، فبدونه تضيق حياة الناس، وبه يمكن القول أن الإسلام دين لكل زمان ومكان، وبسبب الاجتهاد تأتي صلاحية للتطبيق على واقع الناس في الأزمنة المختلفة.
- وصلنا الى النتيجة أن الاجتهاد له أصل في الشريعة الإسلامية بل بدأ بالإسلام، فقد وجدنا في عصر النبي–صلى الله عليه وسلم– حتى النبي–صلى الله عليه وسلم– علم أصحابه طريقة استنباط الأحكام وعلاج النوازل كما مر في قصة معاذ.
- أن كبار الصحابة قد منعوا تفسير القرآن اتباعا للهوى.
- أن أعلم الصحابة قد وجهوا بهذه المهمة واشتهروا بعلمهم ووعيهم وقوة استنباطهم وكانت عامة الناس ترجع اليهم عند أي إشكال.
- ولفهم نصوص القرآن استعملوا صلاحياتهم المختلفة التي عرفت بالأدوات وكان من أهمها اللغة

وأوضاعها وأسرارها، وعادات العرب واليهود والنصارى، فكان كبار الصحابة ومفسريها كانوا يرجعون الى من كان أعلم بها فما كانوا يستحيون فيها.

- الصحابة وضعوا أساسا لأصول الفقه وقواعد التفسير عندما استعملوا القياس و راعوا المصالح والاستحسان وسدوا الذرائع وأدركوا المفاسد قبل انتشارها.
- وفي الأخير وصلنا الى نتيجة أنهم تفوقوا وكان لهم فضل صحبة النبي–صلى الله عليه وسلم–، وشاهدوا التنزيل وكانوا خلص العرب، وأعلم منا في كل من الجوانب، رغم ذلك لا نرى أحدا – من الذين قاموا بالاجتهاد وجاؤا برأيهم– يدعي أنه هو المصيب فقط، بل كانوا متواضعين يحترمون العلم وأهلها كما كان يكره عمر بن الخطاب نكاح الكتابيات ونهى الناس، ومنهم من أنكر بقضاءه فكان جوابه: ولكني أخاف أن تقاطعوا المؤمنات منهن.

ونسأل الله أن يوفقنا الاستفادة من مناهجهم وتواضعهم في معرفة العلم.

References

1. Al-Sihah Taj Ul Lughat, Wa-Sihah Ul Arabia, Abu Nasar Al-Farabi, (Dar Ul Ilm Lil Malayin, Beirut), V.2, page. 461
2. AL-QRʾĀN, SŪRT UL-ʿANKBŪT: 69
3. Al Firay: Hoo Yahya bin Ziyad bin Abdullah bin Manzoor al Delami, Mola bani Asad. Al Ailam al Zarkali, juld: 8, paij: 146.
4. AL-ʾAʿLĀM LILZARKALĪ, VOL.8, P. 146
5. Taj al Uroos mun jawanir al qamoos, Muhammad bin Muhammad bin Abdul Razaq al Husaini, dar al hidayat, juld; 7, paij: 535.
6. TĀJU AL-ʿURŪS MIN JAWĀHR AL-QĀMŪS, MUHAMMAD BIN ABDUL RAZZAQ MURTAZA ZABEDI, (1205H.), (DĀR AL-HDĀYAT) V.7, P.535
7. AL-SIHAH TAJ UL LUGHAT, WA-SIHAH UL ARABIA, v.2, v.461
8. Dustur-ul Ulama, Qazi Abdun Nabi Nukri, (Dar ul Kutub Al-Ilmiya, Beirut), v.1, p.4
9. AL-QRʾĀN, SŪRT UL-ʿANAM: 82
10. Ibid.
11. Tafsir ul Quran, Ibn e Kathir, (Dar Ul Kutub Al Ilmiya, Beirut), v.6, p.298
12. Al Quran, Surat Luqman: 13.
13. Sahih Al Bukhari, Muhammad Bin Ismail Al Bukhari, (Dar Toq An Nijat) v.4, p.141
14. AL-ʾAʿLĀM LILZARKALĪ, V.7, P. 258
15. Sunan, Abi Daud, Abu Daud As-Sajistani, (Maktabat-ul-Asria, Beirut), v.3, p.303
16. Yati Tafsilah fi al Safahat al Taliyat.

17. AL-QRʾĀN, SŪRT UL-BAQARA: 37
18. AL-QRʾĀN, SŪRT UL-ʿA'ARAF: 23
19. Tafsir Ul Quran Al Aziz, Ibn-e-Abi Zamanain al Maliki, (Al faruq Al Haditha, Cairo, Egypt) v.1, p134-135
20. AL-QRʾĀN, SŪRT Ul INSHIQAQ : 8
21. Sahih Al Bukhari, v.6, p.167
22. AL-QRʾĀN, SŪRT UT TOBA: 3
23. AL-QRʾĀN, SŪRT UN NAHAL: 44
24. AL-QRʾĀN, SŪRT UN NISA: 3
25. AL-ʾAʿLĀM LILZARKALĪ, V.4, P. 226
26. Sahih Muslim, Muslim Bin Al Hujaj An Nesapuri (Dar Ihya-ut-Turath ul Arabi, Beirut), v.4, p.2313
27. AL-QRʾĀN, SŪRT UN NISA: 127
28. Mar Takhrijat sabiqat fi al Hamish raqam: 24.
29. AL-QRʾĀN, SŪRT UN NISA: 3
30. Mar Takhrijat sabiqat fi al Hamish raqam: 24.
31. Ibid
32. At-tafsīr wālmufasirūn, Dr. Al-ḏahabī, (Maktaba Wahabo, Cairo), v.1, p.73
33. Tafsīr At Tabari, Abu Ja'far At-Tabari, (Muasisat ul Risala) v.1, p.78
34. AL-QRʾĀN, SŪRT YOUSUF: 2
35. At-Tafsīr Wālmufasirūn, V.1, P.28
36. At-Tafsīr Wālmufasirūn, V.1, P.29
37. Mosuat-ut-Tafir Qabl Ahad At tadwin, Muhamad Umar Haji (Dar Ul Maktabi, Damascus), p.193
38. AL-QRʾĀN, SŪRT UR RUM: 1-4
39. Sunan At Tirmizi, Muhammad bin Isa At Tirmizi, (Dar Ul Gharb al-Islami, Beirut) v.5, p.344
40. Musnad Ahmad, Ahmad Bin Hanbal ash-Shaibani, (Dar Ul Hadith, Cairo), v.4, p.490
41. Shawahid Ul Mughni, Jalal ud Din Syuti (Lajnat Ut Turath Ul Arabi) p.10
42. Masail Nafi Bin al-Azraq, Nafi Bin Al Azraq, p.53
43. Tafsir At Tabari, v.17, p.214, Muwafiqat, Ash-Shatibi, (Dar Ibn e Affan) v.2, p.139
44. AL-QRʾĀN, SŪRT UR RUM: 1-4
45. Tafsir At Tabari, v.4, p.186
46. AL-QRʾĀN, SŪRT UL BAQARA, 189
47. AL-ʾAʿLĀM LILZARKALĪ, VOL.2, P. 46
48. Tafsir At Tabari, v.3, p.556
49. Sahih Al Bukhari, v.4, p.170
50. Musnad Ahmad, v.28, p.460
51. Musnad Ahmad, v.22, p.468
52. Sharh Muqadimah Fi Usul ut Tafsir, Musaid Bin Sulaiman, (Dar Ibn Ul Jozi) p.152

53. Mashahir Ulma il-Amsar, Muhammad bin Habban Ad Darami (Dar Ul Wafa liltaba wan nashr wt tozi, p.150, Tafsir At Tabari, v.1, p.340
54. Tafsir At Tabari, v.1, p.340
55. Ibid, v.1, p.341
56. Ibid, v.1, p.343
57. Ibid, v.1, p.517-518
58. Ibid, v.18, p.212
59. AL-QR'ĀN, SŪRT UL KAHAF: 86
60. Ibid
61. Tafsir At Tabari, v.18, p.96
62. AL-QR'ĀN, SŪRT UN NAZI'AT: 27-30
63. AL-QR'ĀN, SŪRT FUSILAT, 9-11
64. Sahih Al Bukhari, v.6, p.128
65. AL-QR'ĀN, SŪRT AAL IMRAN: 13
66. AL-QR'ĀN, SŪRT UL-ANFAL: 44
67. Tafsir At Tabari, v.6, p.234
68. AL-QR'ĀN, SŪRT UL AHQAF: 17
69. Ibid
70. Sahih Al Bukhari, v.6, p.133
71. AL-QR'ĀN, SŪRT UN NASR: 1
72. Sahih Al Bukhari, v.6, p.179
73. AL-QR'ĀN, SŪRT UN NASR: 1
74. AL-QR'ĀN, SŪRT UN NASR: 3
75. Ibid.
76. Sahih Al Bukhari, v.6, p.179
77. Nukat Wal U'yun, Al-Mawardi (Dar ul Kutub Al-Ilmia, Beirut), v.1, p.281
78. Al-Isabah Fi Tamyizis Sahabah, Ibn-e-Hajar Al Asqalani (Dar Ul Kutub Al-Ilmia, Beirut), v.4, p.639
79. AL-QR'ĀN, SŪRT UL KAHAF: 29
80. Tafsir At Tabari, v.14, p.315
81. Sunan Ul Kubra, Imam Nasai, (Mu'asisat-ur-Risala, Beirut) v.5, p.137
82. At-Tafsīr Wālmufasirūn, V.1, P.77
83. Ibid, V.1, P.86
84. Ibid, V.1, P.88
85. Ibid, V.1, P.89
86. Ibid, V.1, P.89